البنيات الاجتماعية للمجتمع المحلي ومظاهر التباين والتمايز بين افراده بإقليم قورارة –تيميمون–

The social structures of the local community and the manifestations of disparity and differentiation among its members in the province of Guara -Tamimon-

Les structures sociales de la communauté locale et les manifestations de disparité et de -Tamimon- différenciation entre ses membres dans la province de Guara

بيدة عبدالرزاق[1]*، سعيدي محمد[2]،

تاريخ الإرسال: 2022/02/14 **تاريخ القبول:** 2022/08/09 **تاريخ النشر:** 2023/06/01

ملخص:

هدفت هذه الدراسة الى التعرف بالبنيات والتركيبة الاجتماعية للمجتع القوراري، ومظاهر التباين والتمايز بين افراده من خلال دراستنا لتشكلة الاجتماعية التي يتكون منها والعلاقات التي تربطها، حيث تشير المنطلقات الاجتماعية والثقافية والنفسية والاقتصادية لنوعية تركيب البنى المختلفة داخل المجتمع القوراري. فكان انتظامها على أساس العرق الجاه المكانة، المقدس فانشقت عن ذلك أبنيتين علوية وسفلية، فانفصل البناء ومقوماته على أساسين (النسل الملك) فأنتج المجتمع قواعد لتمييز البنى الفوقية وتنظيم قواعد السلوك والإنضباط، مما سمح لها بانتاج قيم ومعايير من اجل ضبط البنية الاجتماعية . فامتلكت عناصر التغيير كقوة قائمة بذاتها متفاعلة مع البنى التحتية بواسطة نظم (الخماسة، الخراصة، المثالثة)، فأصبحت البنى الفوقية قوة لتسخير البنى التحتية.

الكلمات المفتاحية:البنيات الاجتماعية؛ اقليم قورارة؛ الاشراف؛ المرابطين؛ الأحرار؛ العبيد؛ الحرطين.

Abstract :

This study aimed to identify the structures and social structure of the decision-making society and the manifestations of disparity and differentiation between its members through our study of the social formation that it consists of and the relationships that link it, where the social, cultural, psychological and economic premises refer to the quality of the structure of the different structures within the decision-making society.Its regularity was based on race, prestige, and sacredness, so two upper and lower buildings were separated from that, so the building and its components were separated on two foundations (the king's offspring). The society produced rules for distinguishing the superstructures and organizing the rules of behavior and discipline, which allowed it to produce values and standards in order to control the social structure. The elements of change possessed as a stand-alone force interacting with the infrastructure through the systems, the superstructures became a force for harnessing the infrastructure.

Keywords: social structures; Guara district; Supervision; Almoravids; free people; Al-Obaid, Hartine

*المؤلف المراسل

[1]baida.abderrazak, Universityof Oran, Laboratory of Dialogue of Civilizations and Religions in the Mediterranean Basin: Algeria, baida.abderrazak@univ-oran2.dz.

[2]Saidi Mohamed, University of Tlemcen, Laboratory of Dialogue of Civilizations and Religions in the Mediterranean Basin: Algeria, msaidi45@yahoo.fr.

.**Résumé :**

Cette étude vise à identifier les structures sociales de la communauté décisionnelle, et les manifestations de disparité et de différenciation entre ses membres et leurs relations et rapports psychologiques,culturels ,socio-économiques qui traduisent dans une mesure qualité et les statuts des différentes structures au sein du pouvoir symbolique des catégories sociales .Sa singularité puise sa matière d'etre de la race, du prestige social et du sacré et pratique religieuse et le caractère sacré, ce qui laisse paraitre deux niveaux de pratiques symboliques culturelles, sociales, voire architesturales...

Mots clés : structures sociales; quartier Guara; Surveillance; Almoravides; peuple libre; Al-Obaid, Hartine.

1– مقدمة

عرف إقليم قورارة تواجد الإنسان منذ أقدم العصور حيث وجد كل الظروف للاستقرار فيها، وتواصلت على قورارة هجرات القبائل المختلفة وخاصة في الفتح الإسلامي القرن الأول الهجري السابع الميلادي لبلاد المغرب الاسلامي الكبير، إلى نهاية القرن السابع عشر ميلادي، بدأ المجتمع القوراري يتشكل ببطء من عناصره الثلاثة البربر، العرب، الزنوج.إمتزجت هذه العناصر عبر الزمن ليتكون منها المجتمع القوراري. ونظرا لكون التمثيل كان غير متساوي بين البنيات الاجتماعية فالذي ويصدر الأحكام وينفذها كان من إختصاص فيئة واحدة. فقد كانت تبنى الأحكام على أساس المكانة، الوجاهة، النسل، المقدس، المتمثلة في ملكية الماء بلفقارة، العقار الفلاحي. قبل القرن الخامس عشر ميلادي لم يظهر أى تشكيل تمايزي تراتبي، إلا بعد منتصف القرن السابع عشر ميلادي عند ارتفاع عدد الوافدين وظهوربوادر تقسيم العقار الأرضي مابين العشائر والقبائل، فتم التحديد لما يطلق عليه (الرڤ / والبور) بمعنى ما تحت القصر وما فوقه ملكية جماعية للقبيلة والعرش. فبامتلاكهما تدخل المجتمع عن طرق ضبط السلوكات ليفرض على الجماعة عن طريق الاتفاق الجماعي تحييد وتمييز (حريم الفڤارة) فظهرت على اساس الملكية الفردية والجماعية التخصصات والتباينات والتمايزات بين الافراد، فظهر تقسيم العمل على اساس (ملكية العقار الفلاحي/ ملكية الماء بالفـڤارة/ امتلاك رأس المال الثقافي)، فشكلت هذه عناصر بناء وامتلاك المكانة بالمجتمع القوراري، وبتنامي هذه عناصر بناء المكانة الاجتماعية ظهر عنصر جديد لبنائها تمثل في(المكانة القداسية المرتبطة اساسا بحفادة الولي القصوري) وبتنامي ملكياتهم المادية اصبحوا في حاجة لمن يضمن لهم العمل ويوفير لهم سبل العيش. فانقسم المجتمع الى فئتين اثنتين :لملك لوسائل الانتاج والدعم المادي ومالك لقوة العمل.فظهرت فئة الحراطين والعبيد الذين تم جلبهم عن طريق الاسر او الشراء من سوق النخاسة .

ومن خلال تكوين البناء الإجتماعي الذي تشكل بناء على الملكية الفردية، واختفاء الأراضي المشاعة العامة تدريجيا، حدد المجتمع أشكال النظام والأنماط السلوكية الجديدة، فتزامن ظهور نمط الإنتاج الخماسة وبعده الخراصة، ثم نظام المثالثة

لتتشكل هذه النظم على أساس (الملكية والجاه). فبدأت ملامح بناء المكانة في شكلها المادي والإقتصادي، فتبع ذلك التمايز النسبي والقبلي، فتشكلت عناصر المكانة في المرحلة الأولى اقتصاديا / قداسيا، وبدأ المجتمع في تشكيل بنياته الأخرى عن طريق الفصل بين يملك ومن لا يملك، وبظهور عنصر جديد اعتمده المجتمع لبناء (المكانة القداسية الإعتبارية) بدخول الأشراف الادارسة / العلويين / الحمداويين، فظهرت مكانة خاصة بهم. فحدد المجتمع المراكز الإجتماعية على أساس هذه العناصر، وتم التنظير حولها، والتأليف، فصنف المجتمع سكانه على أساس التقاطعات التالية:

فئة الأشراف ثم فئة المرابيطين ثم فئة الاحرار ثم فئة العبيد ثم فئة الحراطين.

يتضح جليا هذا التقسيم الذي بنى في الأساس على عناصر ثلاثة:

1) إمتلاك وسائل الإنتاج.
2) السلالاة.
3) المكانة الإعتبارية بين الجماعة

ومن خلال هذه الدراسة يمكننا التعرف عن كيفية تشكل وتكوين المجتمع بقصور قورارة ومظاهر التباين والتمايز بين تشكيلاته وذالك من خلال الاجابة عن التساؤلات التالية : ما هي الاليات التي تم على أسلسها تكوين التركيبات والبنيات الإجتماعية في المجتمع القوراري؟، كيف يبنى المجتمع تفاعلاته الإنقساميّة؟ ما هي العوامل التي أثرت في تشكيل البناء الاجتماعي باقليم قورارة؟

2- التركيبة الاجتماعية للسكان باقليم قورارة

2-1- التراتب الاجتماعي

يقوم المجتمع القوراري كلية على تراتبية هرمية مؤسسة على النسب واللون الذي يتحكم أفقيا في المنظر العام للخريطة الاجتماعية التي تظهر عليها المجتمعات الواحية، " ورغم استفحال ظاهرة النسب في هذه المجتمعات التي تعتبر في آن واحد تشخيصا للانقسام، ومطية للارتقاء الاجتماعي والسياسي وهما معا سببا ونتيجة للثروة لمادية.إلا أن النسب مع ذلك- سابقا- لا يمكنه الفروق المادية الحاصلة بين كل فئة نسبية حتى الداخل بالنسبة للأفراد المنتمين لنسب شريف أو مرابطي في المجتمع القوراري.

يتعذر فهم التراتب الاجتماعي في المجتمع القوراري على أساس النسب وحده.لوجود أسباب أخرى مرتبطة بالنفوذ الاقتصادي والسياسي وهذا النفوذ الذي سماه ابن خلدون بـ"الجاه"، والاقتصادي السياسي بالمعاش" فالوظيفة السياسية تؤثر على الثروة الاقتصادية وكليهما يؤثران على الواقع الاجتماعي". (مقدم، 2008، الصفحات 30-33)

لقد مثلت الأرض والماء مصدر الثروة الوحيد وقاعدة أساسية للملكية بقرون عدة في المجتمع القوراري، إذ اقتصرت على فئة الشرفاء والمرابطين وبعض الأحرار، لذا كرست نظاما اجتماعيا طبقيا تلعب فيه الملكية إلى جانب النسب دورا أساسيا، بنظام اقتصادي وأسلوب إنتاجي متميز، تجلت فيه الخماسة والخراسة أحدى معالمه الواضحة. فجاء تصنيف الفئات الاجتماعية بالنسبة لجميع القصور في الجنوب الغربي الجزائري على الشكل التالي: – الشرفاء – المرابطون – الزوا – العامة أي الأحرار – الحراطين – والعبيد.

يعتمد هذا التصنيف على الانتماء السلالي ليكرسه الوضع المادي فيما بعد، فالمركز الاجتماعي محسوما مسبقا عن طريق الاصل. الشرفاء والمرابطون الذين يحتلون نظريا قمة الهرم الاجتماعي ليسو جميعا في وضع مادي متميز داخل القصر بالنسبة للفئات الأخرى إذ تتحكم عوامل أخرى مادية على الخصوص في تقدير أهمية الفرد أو الأسرة داخل المجتمع القصوري. وهذا ما يجعل حقيقة "الفرز الاجتماعي كثيرة التعقيد، لان لنظام القرابة دروا أساسيا في شعور كل مجموعة بانتمائها السلالي. وجميع هذه العائلات الموزعة في الأرباع المكونة للقصر لازالت تحتفظ بشجرة أنسابها الموصلة إلى الجد المشترك"(– احمد مزيان ، صفحة 262). لاسيما فئة الشرفاء والمرابطون.ولا وجود لهم عند العامة.

2–2– الأشراف (الشرفة)

تعرف بانتسابها لآل البيت. والشريف هو الذي يتميز بشرف وعزة ونبل شخصيته وسلالته.(encyclopédie 'L Universalis، 2009)

وقد وفدوا إلى اقليم قورارة حسب المصادر التاريخية من شمال المغرب الاسلامي* وكانت غالبيتهم تملك البساتين والحدائق التي يعمل فيها العبيد والجواري، **وكان** لهم نفوذ وسلطة قوية بصفتهم "حماة الدين" ولذلك حرص بقية السكان على اكتساب رضاهم والتبرك برؤياهم.(أحمد، 2003، صفحة 25) يغلب على لون بشرتهم اللون الأبيض وهذا خاصة في إقليم قورارة.*أما بالنسبة لإقليم توات وجنوبه إلى رقان وحتى أولف، فنجد نسبة معتبرة منهم من ذوي البشرة السوداء.

وتشكل هذه الجماعة المرتبة الأولى في السلم الاجتماعي نظراً لما تتمتع به من رأسمال رمزي متمثلاً أساساً في نسبها الشريف. وكذا ما يتعلق به من طلب البركة والدعاء للغير والجاه والوساطة. وحسب وجهة نظرنا، فإن قلة العدد تعد عاملاً

*– يذكر الصديق حاج أحمد في كتابه التاريخ الثقافي لإقليم توات أن الشرفاء أصلهم من المغرب جاءوا من تافيلالت. حيث ورد عام 1121هـ/1709م شريف من تافيلالت يدعى مولاي مبارك بن مولاي المأمون إلى توات مع 30 فارساً من بني محمد وفي السنة الموالية زار شريف آخر مولاي محمد بن مولاي علي مصحوباً بأربعين فارساً من البربر.

* – الأشراف بقصر قنتور وكالي لهم بشرة سوداء.

آخر يساعد على احتفاظ هذه الجماعة بالمكانة التي تتبوأها.* بل أصبح اليوم أحد مبررات استمرار تبجيل العامة وتقديرهم لهذه الفئة، خاصة وأن التبرك يقترن كثيراً بالقلة في العدد.وهذا ما يميز الأشراف في توات.

وفيما يخص توزيع عناصر هذا الصنف على القصور، فهناك بعض القصور التي تتواجد بها عدة عائلات من الأشراف، وهناك من تتواجد بها عائلة واحدة أو لا يسكن بها الأشراف إطلاقاً.*

2-3- المرابطون(المرابطين)

- **المرابطون:** من الفعل "رابط""يرابط" "الرباط" يعني التوقف والإقامة بالمكان والتعبد فيه، تنتمي هذه الفئة إلى جد"مرابط" متصوف ظهرت له كرامة وأصبح وليا من أولياء الله الصالحين وهي من أصول عربية.انتشرت ظاهرة المرابطة في الصحراء بانتشار الطرق الصوفية بعد دخول الإسلام لمنطقة المغرب العربي وكثيرا ما تكون في هذه الأسر الجد المشترك عالما أو مؤسسا لزاوية ولديه مريدون وأتباع، اختص بضريح من الأضرحة التي لازالت قائمة حتى الآن.وتعتقد الأسر زيادة على نسبها أن بركة الجد المرابط سارية في كافة أعضائها وهذا يمدها بمزيد من الاعتزاز والتميز عن الآخرين وقد تزيد من التقدير عند العامة لا تدخل في علاقات مصاهرة مع الفئات الاجتماعية الأخرى عدا الأسر الشريفة.

تستحوذ هذه الأسر على الإرث الديني والرمزي المتوارث عن الأجداد كالإقامة على تعليم الصبيان في الكتاتيب القرآنية والإمامة والمدائح الدينية التي ترغب في إتباع سنة النبي والصلاة عليه والتعريف والتبجيل بأولياء الله الصالحين وكراماتهم وكذلك القيام على الشعائر المتصلة بهم فيكون منهم "المقدم"والقائم على دار الزاوية يتوارثون هذه المهيمة أب عن جد.

- **الأحرار(لحرار)**

تأتي هذه الفئة في المرتبة الثالثة من حيث التصنيف. وأفرادها كانوا ينحدرون من آباء وأمهات أحرار وهم يمثلون غالبية السكان، ويعملون داخل الحوانيت وفي التجارة الخارجية، ويمتلكون البساتين والجواري والعبيد (فرج، 1984، صفحة 34)ويطلق عليهم في بعض المناطق الأخرى من الإقليم عرب الخلط* « وهم الذين وضعهم أحمد المنصور الذهبي في المنزلة

*- تعد قلة العدد سبباً في احتفاظ الأشراف والمرابطين والزوايا على هوياتهم. ويضاف إليها تقوقع كل فئة على ذاتها وفي أفضل الأحوال فانفتاحها لا يتعدى مجتمع البيض.

*- توجد بعض الروايات الشفوية منتشرة في بعض القصور التي لا يتواجد بها الأشراف. تروي وقائع تاريخية تفسر أسباب عدم تواجدهم بها. كعدم الإنجاب وقطع النسل بالواجدة أو مثلما أخبرنا ببني وازل أن الشريف وحتى المرابط لا يعيش فيه للسبب ذاته. إضافة إلى عدم صبر أولياء هذا القصر عليهم نظراً لأنهم يسعون للحصول على أكثر من حقوقهم("يبغو الشايطة" إذا أردنا أن نحتفظ بعبارة المخبر كما هي. وعلى كل حال فهي عبارة شائعة عند الناس تقال في حق هؤلاء كما تقال في حق أي شخص يريد أخذ أكثر من حقه) وفي الواقع يوجد الآن مرابط واحد بهذا القصر بدون ذرية.

*- أو العرب وربما ترجع تلك التسمية إلى كونهم من آباء أمازيغ وأمهات عرب أو العكس.

بين المنزلتين لما حررهم من النصف في بذل الخراج وإبعادهم عن سلك الجندية.»(أحمد، 2003، صفحة 32) غير أن هذه الفئة لا تمثل كياناً مستقلاً بمعنى الكلمة، حيث حدود الفصل بينها وبين المرابطين قليلة جداً إلى الدرجة التي يصبح من الصعب التمييز بين من ينتمي إلى فئة المرابطين والذي ينتمي إلى فئة الأحرار. ومع ذلك فإن الخروج بخلاصة بشأن الجماعتين يبدو أمراً ممكناً.حيث يمكن اعتبار كل مرابط بأنه حر، أي يتمتع بالحرية التامة في حياته والعكس غير ممكن: فكل مرابط حر وليس كل حر مرابط.

"الزوا": يعرفون بانحدارهم من سيدنا "أبي بكر الصديق" رضي الله عنه. ويشكلون فئة قليلة من السكان، غير متمركزة في وجودها. ولا يكاد يكون لهم تواجد في أغلب قصور وبلدات الإقليم.

- **الحرطانيون (الحراطين)**

يأتون في المرتبة الخامسة من حيث التسلسل. وهم أنصاف الأحرار، أبناء الجواري كانوا يزاولون الأعمال التي يأنف من مزاولتها الأشراف والأحراركبيع اللحوم ودبغ الجلود وتعليم الأطفال بالكتاتيب إلى جانب الزراعة وبناء المنازل وبعض الحرف اليدوية.(أحمد، 2003، صفحة 30) وحسب التعريف الذي جاء في كتاب "التاريخ الثقافي لإقليم توات"(أحمد، 2003، صفحة 33)فهم سمر الوجوه، نقل الكثير منهم إلى الشمال من بلاد السودان في العهد الإسماعيلي(السلطان المولاى إسماعيل).غير أن هناك من يرجع هذه التسمية إلى عملية حرث الأرض التي كانوا مختصين فيها. ومن ثم جاءت تسميتهم بالحراثين نظراً لاعتيادهم وانشغالهم طوال الوقت بهذه المهنة.

– **العبيد:** وتصنف هذه الفئة في أسفل السلم الهرمي. و يقصد بهذه التسمية جماعة السود الذين كان أسلافهم عبيداً لدى أناس آخرين. وبالرغم من تحررهم إلا أن هذه التسمية لازالت لصيقة بهم. تعتبر هذه الفئة قليلة من حيث العدد وتنتمي في الوقت ذاته إلى الجماعة الأكبر منها عدداً وهم الحراطين. أي أن كل السود هم حراطين بغض النظر عن تاريخهم.

لكن بالرغم من هذا التقسيم للمجتمع إلى عدة أصناف، إلا أنه في حقيقة الأمر يمكن اختزالها في صنفين كبيرين فقط. وذلك بسبب تفاوت أهمية الحساسية والتباين بين بعض هذه المكونات ووجود عوامل وصفات مشتركة فيما بينها.

أما الصنف الأول فيتمثل في فئة الأشراف والمرابطين والأحرار والزوا(البيض). وأما الصنف الثاني فيضم فئة الحراطين والعبيد (السود).

2–4– مظاهر التباين والتمايز بين البنيات الاجتماعية

2-4-1- الزواج والمصاهرة في المجتمع القوراري

عرفت البشرية انواع عديدة من الزواج حددتها طبيعة العلاقات الاجتماعية وشكل البناء الاجتماعي مما جعل هذه الانماط من الزواج منتشرة في اماكن دون اخرى، بالطريقة التي قدمتها لنا الابحاث الأنثربولوجية.

إن هذه الأبحاث والدراسات للعديد من المجتمعات البدائية اجمعت على ان شكل الزواج يختلف من مجتمع لاخر تبعا للمعايير والنواميس المتحكمة في ذلك المجتمعات ووفق الوظيفة التي تؤديها علاقات الزواج هذه. "لقد ميز عالم الانثربولوجيا البريطاني فريزرFRAZER في كتابه"الطوطم والاكسوجامي" بين شكلين من الزواج: الزواج الداخلي، الزواج الخارجي.

وهي نفس الاشكال التي اعتمدها فرويدFREUD عند الحديث عن المحرم وعلاقاته بالطوطم في مؤلفه (**الطوطم والحرام**)، يعني الزواج الداخلي عند فريزر تلك الروح الزوجية بين عنصرين(ذكر وانثى) ينتميان لنفس القبيلة او العشيرة. اما الزواج الخارجي فهو تلك الرابطة الزوجية بين عنصرين(ذكر وانثى) لا ينتميان لنفس العشيرة او القبيلة"(الجويلي، 1994، صفحة 85)

ان القبائل الاسترالية التي درسها فروزرFRAZER اعتمدت الزواج الخارجي اذ تم تحريم الارتباط بين عنصرين من نفس العشيرة، والانتماء للعشيرة يحدده الانتماء لطوطم(حيوان نبات) معين يدين له افراد العشيرة بالولاء فالزواج بالقرابة الطوطمية، نجد ذلك في المجتمع القوراري فعلاقة المصاهرة فيه وان تعددت القرابة الدموية الحدود القرابية فانها تعوض ذلك بقرابة طوطمية تدين بالولاء لنفس الولي.

فالزواج الداخلي هو احدى عمليات الاتصال، وفيه تاكيد على الروابط القرابية بين الزوجين، كما ان الزواج الداخلي وظيفة تامين وضبط واسلوب للمحافظة على النظام والاستقرار لذلك تتحكم في علاقة الزواج روابط القرابة الدموية بحيث تكون المحور الرئيسي الذي تدور حوله هذه العلاقات. ولا يمانع الزواج الخارجي شرط ان يكون من نفس الفئة او الطبقة الاجتماعية. لكن الزواج بين افراد العائلة الموسعة يحظى بموافقة ورضى الجميع، وبالتالي تحتل القرابة الدموية اذن مكانة ملائمة في علاقات الزواج.

فالزواج الداخلي هو الزواج المثالي لدى المجتمع القصوري الذي يسعى لتحقيقه كل اطراف الجماعة البشرية التي تربطها صلة القرابة الدموية لما لهذا الزواج من وظيفة تؤمن من خلالها المجموعة استمرارها وتخلق لها التجانس المطلوب.

لاستمرار وديمومة هذاالتراتب الاجتماعي والحفاظ على النسب القبلي لا بد من مقاومة وبكل شدة كل ما يمكن ان يقوض أركانه، لذا المجتمع القصوري الواحي كتفكيك اوتجزئة الملكية العائلية المتممة وطبيعة الملكية ونمط الانتاج، كتفكيك

الملكية العائلية ارضا زراعية او سكنا أو بيع الماء او السماح للفئات الاخرى الاجتماعية، مما يسمح بشرب ومتلاك نصيب في الفقارة مما يؤهلها لامتلاك ثروة مائية وتحسن مستواها الاقتصادي والارتقاء الاجتماعي. والاكثر من هذا وان حدث تغير في هذا الشق الاقتصادي نتيجة تعدد مصادر الثروة فان الزواج الداخلي والخطي الطبقي لا زال يؤكد حضوره وركيزة اساسية يمكن ان تدعم ما بقي من هذا البناء. "فعلاقة المصاهرة والزواج تتبع هذا التصنيف(البناء الأجتماعي: شرفاء، مرابطين، الزوا، الأحرار، حراطين) الناتج عن النظرة الاستعلائية ازاء الحراطين الذي تقره الاعراف الجماعية في الجنوب بوجه عام. وحتى حالة ارتقاء وضع الحراطين المادي والثقافي إذ ظهر بينهم فقهاء توارث بعضهم خطة العدالة والتدريس في بعض القصور فان نظرة المجتمع اتجاههم لم تتغير كفئة اجتماعية دونية وهم يكونون فئة مغلقة في اطار المصاهرة حيث يتزاوجون فيما بينهم، ولا سبيل الى زواج حرطاني بامرأة شريفة او حرة من العامة، ومهما كانت الوضعية المادية لهذه الاسرة الشريفة ضعيفة مقابل ارتقاء الحرطاني ماديا"(فجيج، صفحة 262). الشيء الذي ادى الى انتشار ظاهرة الزواج من مدن الشمال في جميع القصور الصحراوية لاسيما من الفئات الحرطانية. وكافراد المجتمع شباب المجتمع القصوري ينتقمون من مجتمعهم ويلومونه على حراكه الشديد للقضاء على الفوارق العرقية، ترى كيف اصبحت هي علاقة الزواج والمصاهرة في المجتمع القصوري الحديث في خضم التحولات والتغيرات الاجتماعية التي ضلخت بناءه الاجتماعي الطبقي بعد ان كان الزواج الداخلي والطبقي يشكل احدى ركائزه الاساسية.

2–4–2– تمايز وتباين الادوار بين الزوجين

تعتمد الأسرة القورارية كلية على الرجل الزوج أو الأب من حيث الإعالة ويعتمد على المرأة الزوجة والأم في القيام بالأعمال المنزلية وإنجاب الأطفال ورعايتهم، ونتيجة لهذا التقسيم الواضح في العمل كان الرجل هو رئيس الأسرة وله السلطة على كل من زوجته وأطفاله.وكانت هذه السلطة مدعمة ومزيدة بالعرف والى حد ما بالقانون. وتبعا لتقسيم العمل بهذه الصورة الواضحة بين الجنسين جاء تقسيم الفضاء حسب الجنس، عمل داخل المنزل وعمل خارج المنزل وسوسيولوجيا من السهل أيضا أن نتكلم عن عمل الرجال وعمل النساء.

التنظيم المتمم والمكمل والذي تكون فيه أنشطة الزوجة والزوج مختلفة لكنها تتلاءم معا لتكوين كل واحد.

في الأسرة النواة تدور الأدوار الاقتصادية بين الزوجين على نمط استقلالية كل من عمل الزوج والزوجة.يعطي الزوج زوجته مبلغا معينا من المال. ولكن الزوجة لا تعرف شيئا عن مرتب زوجها أو كيفية إنفاقه للنقود التي يبقيها لنفسه.كما يقضي الزوج أوقات الفارغ مع أصدقائه وهي كذلك تقضي وقت فراغها مع الجيران أو الأقارب. وقلما يقضيان وقت فراغهما معا وهما لا يشعران بأية غضاضة في ذلك، بل يشعران أن سلوكهما هو السلوك الطبيعي الدائم للدائرة الاجتماعية،

ولا تشترك المراء القصورية زوجها نفس الاهتمامات السياسية والأدبية والموسيقى فالرجل على دراية معتبرة مما يدور حوله من القضايا السياسية التي تنقل إليه شفويا من الأصدقاء أو وسائل الاتصال كالمذياع والتلفزة وزوجته على النقيض من ذلك ولا تقاسمه نفس الاهتمام بسبب المناخ الاجتماعي السائد الذي يظهر فيه بوضوح عالم النساء وعالم الرجال وفي كل من هذه العوالم تدور الأنشطة الاقتصادية منفصلة عن بعضها البعض تدور كافة العلاقات الاجتماعية.وكما للزوج اهتماماته الأدبية والفنية والموسيقية ذات الصبغة الذكورية في الإنتاج .كذلك للمرأة الحكاية الشعبية كترفيه مع صديقاتها وجيرانها، وأغاني الطبل، وبعض المداح الدينية.

ان تقسيم الفضاء بين الجنسين أدى إلى تقسيما اجتماعيا دفعت به الثقافة الذكورية دفعا حتى لم يعد قادرا على استكمال الوظائف الزوجية المشتركة في المنزل الواحد الذي جمع بينهما منذ الزواج. فالمرأة ليست تابعة لزوجها بقدر ما هي تابعة لعالمها النسوي المتمثل في الجيران والأقارب ونفس الشيء بالنسبة للزوج.

3– وسائل الإنتاج

تلعب ملكية وسائل الإنتاج دوراً بارزاً في أحداث التصنيف في المجتمعات. فملكيتها تعد مصدر للجاه والسلطان. وفي هذا الصدد يقول كارل ماركس:" إن ملكية وسائل الإنتاج من قبل طبقة معينة تمنح أفراد الطبقة المعنوية العالية والنفوذ الاجتماعي والاحترام والتقدير." (مبروك، 2008، الصفحات 11-14) والحال كذلك بالنسبة لمجتمع قورارة. فالجماعة التي تحظى بهذا التقدير والاحترام هي المالكة لوسائل الإنتاج ومصادر الثروة. وهكذا يسيطر الأشراف و المرابطون، على وجه الخصوص، على أهم مورد في الحياة وهو الماء. حيث يمتلكون فقارات بأكملها أو على الأقل يتصرفون في شؤونها. وعلى الأراضي الخاصة بالزراعة أو بالبناء سواء كانت في داخل البلدة أو خارجها. ويبيعونها وفق شروطهم الخاصة ومقاييسهم إلى ذوي الحاجة من الناس.*

4– وضعية البساتين والاراضي الفلاحية

*– ملكية الأرض بالمنطقة هي مطلقة وحدها هو حد المنفعة كما يتردد على ألسنة أصحابها كما أن طرقها هي الرواية الشفوية تارة ووثائق عرفية تارة أخرى. وبالنظر إلى طبيعة الملكية هذه فقد شكل العقار ولازال يشكل مرات سبباً للنزعات والخصومات تحال أحياناً إلى العدالة.

بما أن فئة (الاشراف، ألمرابطين الزوا، الاحرار) تمتلك غالبية الأراضي فإنها تمتلك أيضاً غالبية البساتين. ولا يمتلك (الحراطين، العبيد) إلا عدد قليل منها. بل هناك من لا يمتلك شئ منها. وبذلك يكونون أحوج من غيرهم إلى العمل في بساتين البيض.أما الذين يمتلكون بساتينهم الخاصة فإن سبب اللجوء إلى البيض هو عدم كفايتها لسد حاجياتهم اليومية.

وقد يوجد من القصور من يمتلك فيها كل الناس بساتين. لكن لا يعني هذا أنهم متساوون في هذا الشأن. بل تفسيره هو أن السود اضطروا إلى شراء بعض بساتين البيض أو أراضي قاحلة ثم فلحوها. ولذلك نجد بساتينهم حديثة العهد مقارنة ببساتين البيض.

5– ملكية الفقارة

بلا شك يمتلك البيض أغلب الفقارات الموجودة في المنطقة. ويحكمون التصرف في شؤونها. وبصفة عامة فملكية الفقارة مقسمة إلى قسمين:

– ملكية جماعية تشترك فيها قبيلة أو قبائل معينة أو تجمعاً فلاحياً أو حتى كامل سكان القصر.

– ملكية فردية: يكون شخص واحد مالك للفقارة وأحياناً تأخذ اسمه أو اسم أبيه أو جده. وبالتالي يكون التحكم فيها وتسييرها كأي ملك أو إرث آخر دون اعتبار لأي جهة أخرى.

6– توزيع مياه الفقارة

هناك لجنة خاصة مكلفة بتوزيع مياه الفقارة على مستحقيها أو القيام بما يعرف محلياً "بالمكيلة". و"الكيال" هو رجل أمين، خبير بأسرار الماء يجيد الحساب والخطوط المختلفة من الماء. يكلف بعملية توزيع أو تقسيم الماء بمساعدة أرباب الفقارة.

وحسب خصوصية المهمة التي تقوم بها هذه اللجنة، فإنه لا توجد ضرورة لحضور السود فيها. وهذا الحضور يكون استثناءاً فقط عند انعدام المختصين من البيض ووجود البديل من السود. وعنده فإن "الكيال" ليس له سلطة وإنما هو تابع ومنفذ لأوامر الأرباب الذين يكونون حاضرين حسب التعريف السابق.

7– خدمة الفقارة

إلى يومنا هذا، لا تزال عادة "البريح" (النداء على سكان القصر من على سطح المسجد أو من مكان مرتفع في السابق، أما اليوم فيتم في المسجد أو في التجمعات) الفقارة قائمة في بعض القصور وإن كانت في تناقص شيئاً فشيئاً. وتعد هذه المناسبة فرصة لاختلاف الناس وتباين آرائهم حول الاستجابة لهذا النداء من عدمه. فهناك فريق يربط استجابته بمدى

مشاركة ملاك الفقارة وأبنائهم*. وهناك فريق آخر تعود على مثل هذا العمل وهو مقتنع في داخل نفسه بضرورة المشاركة مهما كانت الظروف وهو يقوم بهذا لأحد السببين:

إما هو مسلم بأن السود هم الخدام أو همه الوحيد هو المصلحة العامة خاصة وأن الفقارة عنصر أساسي في حياة القصر. ورغم كل هذا تبقى قضية الفقارة من القضايا الحساسة التي تثار حولها الجدال خاصة إذا ما تعلق الأمر بواجبات فضلاً عن حقوق كل واحد اتجاهها.

8- خاتمة

توصلنا من خلال درستنا لهذ الموضوع الى ان في المجتمع أفراد وجماعات ولكل منهم مصالح وإرادات، لذلك يتنافسون على الموارد والمنفعة كالثروة، والأرض والماء، القوة، الجاه، والشرف ،والمكانة. يهيمن من يمتلك تشكيل إيديولوجية المجتمع وقواعد السلوك، لأن الذي يملك القوة له القدرة على إعادة إنتاج الواقع بما يتفق مع مصالحه، وذلك من خلال سيطرته على وسائل تشكيل الأفكار والأشخاص وبالمقابل يحاول الخاضعون والمستغلون الحصول على القوة لتغيير الوضع القائم ليحقق لهم المكاسب سواء بطرق شرعية متاحة أو بغيرها.

المراجع

- **باللغة العربية:**

1. أحمد مزيان فجيج. (بلا تاريخ). مساهمة في دراسة المجتمع الو احي المغربي خلال القرن التاسع عشر1845-1903.
2. الصديق حاج أحمد. (2003). التاريخ الثقافي لإقليم توات ق12هـ/ق18م،مديرية الثقافة لولاية أدرار.
3. الهادي محمد الجويلي. (1994). مجتمعات للذاكرة ومجتمعات للنسيان، دراسة مونوغرافية لاقلية سوداء بالجنوب الونسي. مجموعة سراس تونس.
4. فرج محمود فرج. (1984). إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين. ديوان المطبوعات الجامعية.
5. مبروك مقدم. (2008) .مدخل منغرافي في المجتمع التواتي. الجزائر. دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع.
6. مبروك مقدم.2008 .علاقة الأبجدية التفناغية برموز وإشارات توزيع مياه الفقارة. دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع.

- **باللغة الأجنبية:**

1 -L’encyclopédie Universalis . (2009.)